Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذكره" ، وسمعت آخر يقول عنه " كان فتوة حقا ، ولكنه لم يكن كالفتوات الآخرين ، فلم يفرض على أحد إتاوة ، ولم يستكبر فى الأرض ، وكان بالضعفاء رحيما .

ويبدو أن المؤلف لم يكن قد قرر وهو يكتب هذه الافتتاحية أن يضع حداً جريئا لحياة جدنا الأكبر الملغزة ، ويجعل عرفه يتسبب فى موته ، مع أنه يعبر عنه هنا بفعل " كان " ، وأغرب من ذلك أن يجعل هذا الموت قضية مسلما بها بين كل الأحياء ، مما يبعد بهذه الشخصية المشفرة بأناة وحكمة من أن تتطابق مع نموذجها الدينى الكبير ، بل يعمد إلى إثارة كل من المشابه والمفارق معا ، فهو مالك كل شىء فى الحارة وصاحب أوقافها ، إلا أنه قد اعتزل منذ عهد بعيد ، وهو قد سيطر عليها بقوة ساعده من ناحية ومنزلته عند الوالى من ناحية ثانية ، وهو قدير ليس كمثله جميع الفتوات إلا أنه لم يستكبر فى الأرض وكان بالضعفاء رحيما .

بهذا المزيج الخاص من الألوهية والفتوة ، من الأزلية والحدوث ، من الديمومة والفناء ، نرى الجبلاوى جد الحارة ومصدر عذابها وسعادتها .

وإذا كان المؤلف يتقن فن تضمين الأسماء فى رواياته طاقة إيحائية ورمزية بارزة ، فانه هنا حيال موقف دقيق ، لأنه حيال أمثولة كونية تريد أن تعبر مجازا عن رؤية خاصة لتطبيقها الأعمال الأخرى ، ومن ثم يصبح اختيار الأسماء الخطوة الأولى فى الترميز الشفرى الناجح ، فالإسم عليه أن يستدعى عالمين : المباشر وهو شخص الرواية الحقيقى ، والمجازى وهو نظيره المختلف عنه والمتشابه معه فى حكاية الوجود . ومنذ البداية نجحت لعبة هذا التوازى : - فأدهم لا يختلف كثيرا عن آدم على المستوى الصوتى ، وإدريس شديد القرب من إبليس ، أما جبل فقد انتقل فيه المؤلف من أسلوب الجناس الناقص فى التشفير إلى طريقة المجاز المرسل المكانى ؛ لأن مشهد الجبل الذى تجلى فيه الرب لموسى هو الذى يميز رسالته ، وقد انسحب هذا على نظير الرب ذاته ، فأصبح الجبلاوى بتباعده وضخامته وكبريائه ، وعندما نصل إلى رفاعة نعود إلى لون جديد من الاشتقاق الذى لا يقوم على جذر التسمية وإنما على أبرز معالمها ، فنظير المسيح الذى رفع إلى السماء بتسمى بما يشير إلى هذا الرفع . وتداعب كلمة قاسم الحقيقة التاريخية من جانبين :